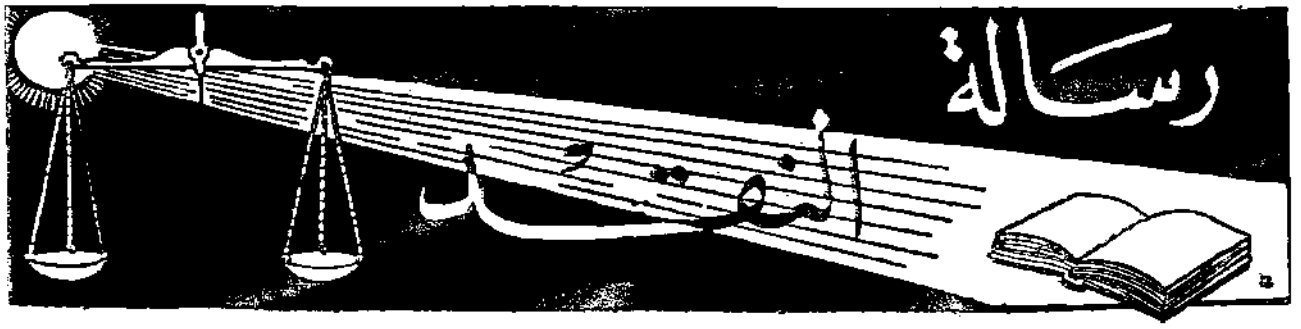

في سبيل العربية

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثاني عشر

بقلم الأستاذ عبد القادر المغربي

الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء قليلة جداً، وقد يكون معظمها مما يسمونه خطأً مطبعياً، ومع هذا فسنذكر هنا هذه الأغلاط لتكون كاللحام يصل بين طرفي سلسلة التصحيحات التي خدمنا بها هذا الكتاب النفيس منذ أول صدوره ونشرناها على التوالي في أجزاء[1] مجلة مجمعنا العلمي الدمشقي. وإذ قد توقفت مجلة هذا المجمع عن الصدور رأينا أن ننشر تصحيح الجزء الثاني عشر وما يليه في مجلة «الرسالة» وذلك لسعة انتشارها، ولأن معظم قراء مجلة المجمع الدمشقي من قرائها وها هي ذي تصحيحات الجزء الثاني عشر

ص ٦٣ س ٨ قوله: (ويؤخذ من السُّكّ الأصفر الطوامير مثقال) السُّكّ طيب ذكره المؤلف ووصف أنواعه. و(الطوامير) جمع طومار وهو الصحيفة. وفي اصطلاح كتّاب الدواوين قديماً صحائف ذات شكل خاص تطوى طياً خاصاً. قال كعب بن زهير في وصف ناقته من شعر (طُمِّرت تطميراً) أي كأنها طويت طيَّ الطوامير. فكلمة الطوامير إذن لا تصلح أن تكون صفةً أو بدلاً من كلمة (السُّك) فلعل صوابها (الطوامريّ) بياء النسبة. ويكون معنى نسبة السك إلى الطوامير أن ذلك السك مما يحفظ في الطوامير لا في أوعية أو ظروف أخرى، أو المعنى أن لون السُّك الأصفر فاتح أو قاتم كلون الطوامير

وقد تتبعنا ما قاله المؤلف في طريقة اتخاذ السُّك فلم نجد ما يساعدنا على معرفة المراد من وصفه بالطوامير

ص ٩٠ س ٥ قوله: (طبيخ البان بالأقاويه مع الماء أقوى له) الصواب أن يكون (طبخ) بصيغة المصدر إذ أن سياق الكلام والإخبار بقوله: (أقوى) يقتضيان هذا

ص ١٢١ س ٢ قوله: (ثم دُقّه بشيء من ماء التمر) الضمير في (دقّه) يرجع إلى الآس الذي دُقّ دقّاً جريشاً ثم عُجن بماء التمر إلى أن قال: (ثم دقّه الخ). ولا يخفى أن قوله: (دقّه) بالقاف المشدّدة محرف أو مصحف وصوابه (دُفّه) بالفاء الساكنة أمر من فعل داف يدوف. قال في (الأساس): (دافَ المسك بالعنبر خلطه به. وداف الزعفران أو الدواء خلطه بالماء ليبتلّ) ولا ريب في أن ماء التمر لا يتصور أن يدقّ به شيء من الأشياء وإنما يداف به ويخلط. وفعل (الدوف) استعمله المؤلف في غير ما موضع. ففي ص ١٣٢ س ٥ (ويُدافان بالطلاء الريحاني) وفي ص ١٣٥ س ١٠ (الزعفران والمسك المدافين بدهن البلسان)

ص ١٢٨ س ١٠ قوله: (وصمِّد على هبال الماء) ضمير (صمده) يرجع إلى المسك المدوف بماء الورد و(التصميد) كما في القاموس وشرحه الإذابة ومنه قيل خلّ مصمَّد. ويقال شراب مصمَّد إذا عولج بالنار حتى يحوّل عما هو عليه طعماً ولوناً اهـ. وهبال الماء بخاره الساخن الصاعد عنه وهو على النار. وهي كلمة عامية كانت شائعة على ما يظهر في عهد المؤلف كما لا تزال شائعة في بلادنا الشامية غير أنا نلفظها نحن الشوام (هبلة) لا (هبال) على أن (هبال) قد تكون جمعاً لهبلة فإن (فعلة) تجمع على (فعال) قياساً نحو قصعة وقصاع. واليسوعيون في معجمهم العربي الفرنسي فسّروا الهبلة بقولهم Vapeur d'un liquide ثم وضعوا أمامها العلامة التي تدل على أن الكلمة ليست فصيحة وإنما هي مستعملة في اللغة العامية. وأذكر أن بعض العارفين باللغات السامية عدّ كلمة (الهبلة) في مجلة المجمع العراقية في العامية الشامية من اللغة السريانية. ولا يخفى أن مؤلف (نهاية الأرب)

(١) الأجزاء الخمسة الأولى من نهاية الأرب نشرت تصحيحاتها في مجلد السنة السادسة من مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق. وتصحيح الجزء السادس نشر في مجلد السنة السابعة. وتصحيح الجزء السابع نشر في مجلد السنة الثامنة وتصحيح الثامن نشر في مجلد السنة ١٠. وتصحيحات الأجزاء: التاسع والعاشر والحادي عشر نشرت في مجلد السنة ١٣

هذا ومجلدات مجلة المجمع الدمشقي محفوظة في دور الكتب العامة ولا سيما دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية في القاهرة

يتسامح فى استعمال الكلمات الدخيلة الجارية فى لهجة عوام زمانه : فهو يقول (شوابير) ويريد بها القطع أو الفتائل المجمولة على طول الشبر . ويقول (الرم) ويريد به الزبد أو الرغوة التى تعلو المائعات وهى تغلى على النار فتلتقط وترمى . والكلمتان عاميتان شائعتان فى مصر والشام إلى زماننا هذا . فلا حاجة إذن إلى جعل (الهبال) الواردة فى كلام المؤلف محرفة عن كلمة (الهباء) بالهمزة وهو ما ارتفع من الغبار وأن المراد بالهباء حينئذ البخار الساخن مجازاً .

ص ١٤٤ س ٢ قوله (ويغلى بزيت مغسول) لعل الأفصح فى استعمال هذا الفعل هنا أن يقال (يُقلى) بالقاف لا (يُغلى) بالغين : فإن ما يطبخ بالزيوت والأدهان من دون إضافة ماء يستعمل فيه فعل قلاه يقلوه وآلته (المقلاة) . وإذا طبخ الطعام بالماء مع زيت أو دهن أو من دونهما ثم بقبق قيل إن الطعام يغلى غلياناً ، وإن الطاهى أغلاه وطبخه لا قلاه وحمصه . على أن الغليان فى عبارة المؤلف قد يكون له معنى ولكنا نستبعد أن يكون مراداً للمؤلف فهو فى الراجح من تصحيف النساخ

ص ١٦٠ س ١٠ ذكر المؤلف عقاقير سُحقت وخُلت وعُجنت بعسل ، ثم قال : (وتُبسط على جام وتقطع وتستعمل) ثم قال فى ص ١٦١ س ٦ (ويبسط على جام الخ) واستعمال الجام فى الموضعين صحيح فصيح فلا حاجة إلى تصحيح الجام بكلمة (الرخام) وإن كان بسط الأدوية والطيوب على رخام كثير الوقوع ، غير أن بسطها على الجام أقرب تصوراً وتعقلاً . وبيانه أن للجام معانى ثلاثة تختلف باختلاف اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية فالجام فى العربية معناه الإناء من فضة ، وقال علماء اللغة إنه بهذا المعنى عربى فصيح . والجام فى التركية الزجاج كزجاج الشبابيك والمرايا . والجام فى الفارسية القدح الذى يشرب به الشراب فى الأكثر وغير الشراب فى الأقل

ولا يمكن أن يكون المراد من (الجام) فى عبارة المؤلف هذا المعنى الفارسى أى القدح ؛ وإنما الممكن أن يكون المراد الإناء من فضة (بالمعنى العربى) أو لوح الزجاج (بالمعنى التركى) ، فإن بسط العقاقير ومعالجة تركيبها عليه كثير الشيوع وشد ما رأيناه فى الصيدليات . ولا سيما إذا لاحظنا أن طائفة من علماء اللغة قالوا إن (الجام) هو (الفانور) وفسروا الفانور بالطست يكون من رخام أو فضة . وخص الأزهرى فقال : إن أهل الشام يتخذونه من رخام . فإذا كان الجام قد يتخذ من رخام فلا حاجة إذن إلى تصحيحه بالرخام . والفانور أيضاً قد يكون بمعنى قرص الشمس وقد سموا قرصها بالفانور على التشبيه . وهذا يدل على أن الفانور الذى يسمى الجام لا يكون له حروف تامة حواليه حتى قال فى (الروض الأنف) : (الفانور سبيكة الفضة) والسبيكة لا حروف لها كما لا يخفى . ويؤيد هذا ما جاء فى كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) من أن (فانور) معرب (پتر) وهو كل ما صفح من ذهب وفضة ونحاس . ثم نقلوه إلى الآنية المستديرة التى لها شكل الصفائح كالخوان والطست وقرص الشمس ، ثم شبهوا به صدر الحسان وخاصة صدر بثينة الذى قال فيه جميل :

سبتنى بعينى جؤذر وسط ربرب وصدر كفانور اللجين وجيد

وبالجملة فإن استعمال المؤلف لكلمة (جام) بمعنى الإناء أو الزجاج صحيح ولا حاجة إلى تصحيحه بالرخام وإن كان استعمال الرخام فى هذا المقام ممكناً

ص ١٦٩ س ٦ قوله : (ويؤخذ ماء السِلق المعتصر) الفصيح فى (السلق) وهو الخضرة المعروفة أن يكون بالسين كما ورد فى معاجم اللغة . لكن لما كان المؤلف يتسامح فى استعمال الكلمات العامية كما قلنا وكان (الصلق) بالصاد مما ينطق به عامة زماننا كما ينطق به عامة زماننا — لما كان ذلك كذلك حَسُنَ الإبقاء على (الصلق) الواردة فى عبارة المؤلف بالصاد ولا حاجة إلى تصحيحها بالسين ، وهذا كما أبقينا على كلمة (ملو) بالواو وهى عامية مكان (ملء) بالهمزة فى عبارة المؤلف (ص ١٤٠ س ٥) وهى قوله : (ويكون العصير أقل من ملو القارورة) وقد أحسن المصحح الفاضل صنعاً فى قوله : (أبقينا (ملو) على حاله حرصاً على استعمال المؤلف) وكذلك نبقى كلمة (الصلق) بالصاد على حالها حرصاً على استعماله : فإن فى هذا الإبقاء على الكلمات العامية الواردة فى عبارات علمائنا وكتابنا الأقدمين — غرضاً له قيمته فى معرفة تطور الألفاظ وتاريخ اللهجات كما لا يخفى

ص ١٦٢ إلى ١٧٧ وصف المؤلف خلال هذه الصفحات أدوية مركبة من عقاقير لتنمية (القوة الجنسية) وقد ذكر فى عنوان ثلاث (وصفات) منها أنها (تسخّن الكلَى) بالخاء وفى ثلاث وصفات أخرى أنها (تسمّن الكلى) بالميم ، فإذا كانت كلتا الكلمتين صحيحتين غير محرفتين كان ذلك من أسرار الطب القديم ، وإلا فإن طبيباً من فضلاء أطبائنا قال : (بعد أن اطلع على نصوص الكتاب) إن إحدى الكلمتين (تسخن وتسمن) محرفة عن الأخرى وأن الصواب فى ظنى هى (تسخن) بالخاء دون (تسمن) بالميم ، واستدل على ذلك بأن المؤلف وصف هذه العقاقير بأنها (كثيرة الحرارة) ، ولا ريب أن كثرة حرارتها تحدث حرارة فى البدن عامة وفى الكُلية خاصة ، قال : وهذا ما وقع لى مذ كنت فى السودان فقد دعانى شيوخها إلى وليمة أكثروا فى طعامها من الفلفل الحار فأدى ذلك إلى حصول التهاب وتزيف دموى فى كليتى . فلا جرم أن يكون المؤلف فى وصفاته إنما أراد أن العقاقير تسخّن وتحدث حرارة لا تسمّن الكلية وتضخمها . وفوق كل ذى علم عليم .

المصرى